النشاط الثقافي في الوطن العربي

الجمهورية العربية المتحدة

لمراسل الآداب في القاهرة

— ١ —
مفكر جامعي

اصدر السيد ثروت عكاشه وزير الثقافة والارشاد التنفيذي للاقليم المصري قرارا بتعيين الدكتور لويس عوض مديرا عاما لادارة الثقافة بالوزارة .. وقد كان هذا الاختيار على جانب كبير من التوفيق ، ويهمنا فيهذه الدراسة القصيرة ان نحدد دور لويس عوض في مجال الثقافة العربية في مصر ، مع تأكيدنا لاهمية ذلك القرار الذي اتخذه وزير الثقافة في الاستعانة بمثل هذا المفكر الذي يستطيع ان يؤدي دورا نافعا في تخطيط حياتنا الثقافية .

— ٢ —

كان الجيل الاول من ادبائنا يحمل على عاتقه عبئا رئيسيا هاما هو : فتح نوافذ الثقافة العربية على ثقافة الغرب ، واخراجها من ذلك الاطار المحدود الذي وضعت فيه وهو اطار الثقافة العربية القديمة ، فقد كانت ثقافتنا خاضعة لذلك الاطار حتى اوائل القرن العشرين خضوعاكاملا على التقريب .. وبدأ الجيل الاول يناقش مشاكل ثقافتنا وادبنا مناقشة جديدة ، على ضوء مناهج جديدة لم يألفها العقل العربي من قبل .. كان لطفي السيد ينادي بالديموقراطية وكانت كلمة الديموقراطية غريبة غير مألوفة بالنسبة لنا ، وهي وان كانت معروفة في بعض الاوساط فلم تكن معروفة بمعناها العلمي الصحيح ، ولكن لطفي السيد اخذ يشرح معناها العلمي الفلسفي ، وينادي به ، ويدعو الى تحقيقه ، أما طه حسين وهو تلميذ للطفي السيد ثم زميل له ، فقد اعلن التمرد على اليقين المطلق والايمان الكامل بما ورثناه من افكار وعقائد ، فدعا الى « الشك » الذي دعا اليه الفيلسوف الفرنسي « ديكارت » في عصر النهضة الاوروبية ، والذي كان بداية حقيقة للحضارة الحديثة لانه اعاد الى « العقل الانساني » وايقظ ما فيه من امكانيات على التفكير والابتكار ... وكان العقل الانساني عاجزا يتلقى الاشياء التي تركها الاباء والاجداد دون اعتراض، ودون رفض، ودون تفكير فيما هو صالح وما هو ناقص ، او عديم الصلاحية .

دعا طه حسين الى الشك ودعا الى التفكير ايضا ، فلا يمكن ان يشك ذلك الذي لا يفكر ،وانما يتلقى افكار الاخرين ويطيعها .. وبدأ طه حسين يطبق دعوته الى الشك والتفكير تطبيقا عمليا ، فعاد الى دراسة الشعر الجاهلي دراسة جريئة ، ونظر نظرة متحررة الى «القرآن» فحاول ان يفكر فيه تفكيرا عقليا حرا ... والقرآن والدين عموما كانا اكبر المقدسات في حياتنا العقلية ، ولكن قداسة القرآن والدين بلغتا في نفوس الناس واذهانهم مبلغ الجمود ، فكان من المحرم على الناس ان يفكروا في القرآن او الدين ، وان يجتهدوا في تفسير النصوص الدينية، وان يلائموا بين مناهج العلم والحياة العصرية وبين الدين « وضرب » طه حسين ضربته، فدخل بمنهج «الشك» وبمنهج التفكير المستقل المتحرر الى عالم القرآن وعالم الدين ... وكانت لديه حجة كبيرة من قلب القرآن نفسه .. هي ان القرآن يثبت قيمته بطريقة اروع لو فكرنا فيه تفكيرا عقليا حرا وحاولنا ان نتأمله بدقة ووعي وجرأة .. لكن فكرة طه حسين بالطبع اثارت ضجة كبيرة ، لانه كان يتحدى عالما تعود على التسليم ، وتعود على الطاعة وتلقى الافكار دون مناقشة أو بحث .. وقام الكثيرون يهاجمون طه حسين بعد ان صدر كتابه « الشعر الجاهلي » والذي كان يعبر عن وجهة نظره المتقدمة المتحررة ، وصودر كتاب طه حسين ، واضطر المفكر الجريء ان يخفف من حدة كتابه وعنفوان منهجه الجديد ، واصدر الكتاب نفسه بعد التعديل واسماه « الادب الجاهلي » وكان الكتاب المعدل يحمل الافكار الرئيسية للكتاب الاول .. وقد اصدر المفكرون الذين كانوا يمثلون قمة الجمود العقلي في ذلك الحين ، وان حاولوا ان يضفوا على هذا الجمود شكلا عقليا منطقيا .. اصدر هؤلاء المفكرون عدة كتب لنقد طه حسين والهجوم عليه هجوما عنيفا مرا ، وكان على راس هذه الكتب كتاب « تحت راية القرآن » لمصطفى صادق الرافعي.

ومن الغريب اننا اليوم عندما نقرأ كتاب طه حسين الذي أثار كل تلك المعركة ، فاننا نجده يعبر عن افكار نؤمن بها جميعا ، ويكاد الجيل الجديد كله يعتبرها بديهيات عقلية لا تحتاج الى معارضة او مناقشة ، بل ان بعض ابناء الجيل نفسه يرون في هذه الاراء افكارا متخلفة عن العصر ، ويرون اننا في حاجة الى ان نسبقها ونتقدم عليها ، ويرى البعض فيها صورة من افكار سبق طه حسين اليها مستشرقون من علماء الغرب ، وعلى الاخص المستشرق المعروف « مرجليوث » .

وعندما ظهر توفيق الحكيم احدث ضجة كبيرة هو الاخر ، وذلك لانه تربى على الثقافة الغربية ، ثم جاء الى بلادنا ليقدم اليها شكلا ادبيا جديدا لم تألفه من قبل ، هذا الشكل هو « المسرحية» .. لقد كان عندنا قبل توفيق الحكيم اشياء تشبه المسرح ، ولكن لم يكن لدينا مسرح أدبي حقيقي ... كان عندنا ممثلون عظام امثال عزيز عيد ، وكان عندنا مترجمون لهم شخصيتهم وطابعهم الخاص مثل عثمان جلال الذي نقل الى العربية عددا هاما من مسرحيات موليير ، وكان عندنا مسرحيات شعرية كتبها احمد شوقي.. ولكن كل هذه الاشياء لم تكن مسرحا ادبيا كاملا ، كان النقص واضحا فيها أشد الوضوح ، ولذلك لا يمكن ان نقول ان المسرح الادبي قد وجد عندنا قبل توفيق الحكيم .. وعندما جاء توفيق الحكيم وقدم الى عالمنا الادبي مسرحية « أهل الكهف » ثارت ضجة اعجاب كبيرة وثارت الى جانبها مظاهر دهشة واستنكار من اصحاب الافكار التقليدية المتخلفة، وان كانت الدهشة والاستنكار لم يبلغا حدا كبيرا ، لان العمل الفني يستغرق وقتا حتى يفهم الناس ما وراءه من افكار ، اما العمل النظري المباشر مثل كتاب « الشعر الجاهلي » فلا يستغرق ذلك وقتا .. لانه يقدم نفسه ظاهرة ، ولا يحتاج الى تفسير .

كذلك اثار العقاد ضجة كبيرة في تغيير الفكرة الشائعة عن الشعر والادب بوجه عام وقد تعرضنا لموقف العقاد من الحياة الادبية في مقال سابق .

وهكذا .. كان الجيل الاول من الادباء يحطم الجمود العقلي ، ويحطم الخضوع الكامل للافكار التقليدية القديمة ، ويفتح آفاق الثقافة العربية ، حتى تتفاعل مع الثقافة الاوروبية ، وتستفيد من تقدمها وعمقها وتنوعها .. ولذلك دخل الجيل الاول من ادبائنا معركة عريضة من اجل دفع ثقافتنا خطوة الى الامام ، واتاحة الفرصة امام العقل العربي حتى يستمد افكاره

ليس فقط من ثقافتنا القديمة ، وانما ايضا من ثقافة الغرب القديمة والحديثة على السواء .

بعد هذا الجيل ، كان لا بد من ظهور جيل جديد ، يؤدي وظيفة جديدة ... لقد استطاع الجيل الاول ان ينشيء الجامعة ، وان ينشيء الصحف، وان ينشر التعليم والثقافة العامة في صفوف الشعب .. وكان على الجيل الجديد او الجيل الثاني ان يقوم بتنظيم هذه الاشياء كلها والمحافظة عليها والاستمرار في تنميتها .. لقد كان الجيل الاول هو الجيل الذي كافح حتى خلق « الثروة » وكان على الجيل الجديد ان يعمل الاول على تنظيمها وتوزيعها توزيعا مثمرا ، والمحافظة عليها ، والعمل على ان تؤدي هذه « الثروة » اهدافها المنشودة وجاء الجيل الجديد ، ربما جاء في ظروف اشق ، وربما جاء والدنيا اكثر تعقيدا ، والمشاكل فيها كثيرة متعددة .. لكن جاء ليؤدي دوره ، وليقوم بواجبه ، وقد ساهم الجيل الاول في تربية هذا الجيل الجديد وتهيئة الفرصة له على مسرح الحياة .

وكان لويس عوض واحدا من انبغ ابناء الجيل الجديد ، وكان من المع من ظهروا في صفوفه .

وشخصية لويس عوض مثال واضح بارز للجيل الثاني من ادبائنا، وقد ولد لويس في الصعيد ، وكان ابوه فيما اظن تاجرا ، وقد اراد له ابوه بعد ان انتهى من تعليمه الثانوي ان يدخل كلية التجارة، فهذا هو « مزاج » والده وذلك ما يتمناه لابنه : ان يصبح علما من اعلام الاقتصاد في بلده.. ودخل لويس كلية التجارة بالفعل وبقي فيها فترة غير قصيرة ، ثم فوجيء ابوه ذات يوم بابنه يهرب من كلية التجارة ويدخل كلية الاداب ..وثار الاب ثورة عنيفة ، وحدثت بين الابن وابيه مشكلة كبيرة من تلك التي تحدث دائما بين الاباء والابناء في مجتمعنا، بسبب من الاختلاف الجوهري بين وجهات نظر الجيل الماضي ووجهات نظر الجيل الجديد ، مما قد لا نجده في مجتمع متجانس متقارب الافكار مثل المجتمعات الاوروبية ، فقد يكون هناك خلاف بين الاب وابنه .. ولكن هذا الخلاف لا يمكن ان يتسع ويتعمق الى حد التناقض .. ان التقارب كبير بين الاجيال المختلفة هناك .. اما عندنا فقد تجد ابا مسرفا في التدين وابنا مسرفا في الانفصال عن الدين ، وقد تجد اما تلبس الحجاب اما بنتها فتلبس « الشوال» وبين الحجاب والشوال ما بين عصر يؤمن « بالخاطبة » والقيود الحادة المفروضة على المرأة ، وعصر يؤمن بالاختلاط وحرية المرأة في التعليم والعمل والعاطفة

دخل لويس عوض الآداب وتخرج منها شابا متفوقا في دراسة الثقافة الانجليزية .. درسها في مصر على يد اساتذة انجليز ثم ذهب الى اوروبا وامريكا حيث اتم تعليمه الجامعي ، وعاد معه شهادة « دكتوراه » في الادب الانجليزي ليصبح اول رئيس مصري لقسم اللغة الانجليزية .

ومنذ تخرج لويس عوض من الجامعة حتى اليوم وهو يحاول ان يؤدي دوره في ميدان الثقافة العربية .. دور التنظيم والتفصيل والمحافظة على الثروة التي كسبناها على يد الجيل الاول

وسجل لويس عوض عدة نتائج عامة في ميدان كفاحه الثقافي .

ففي ميدان الترجمة قدم الى المكتبة العربية عددا من الآثار الفنية والنقدية .. ونقف هنا لحظة امام منهجه في الترجمة الذي يعتبر بحق اضافة هامة الى المكتبة العربية ، فقد كان من الشائع المعروف ان يقدم المترجم العمل الذي يترجمه دون مقدمات ، او بمقدمة صغيرة تتحدث عن ذلك العمل الادبي حديثا مباشرا .. وجاء لويس عوض فجعل من لترجمة عملا فكريا كبيرا ، عندما يترجم لا يقدم النص الادبي وحده ، وانما يقدم الظروف التي ظهر فيها النص والمدرسة التي ينتسب اليها، والقيمة التي حققها بالنسبة للادب .. واوضح مثال على ذلك ما فعله في المسرحية الشعرية التي ترجمها للشاعر الانجليزي « شيلي » اذ قدم الترجمة مصحوبة بدراسة واسعة هامة عن الحركة الرومانسية والانقلاب الصناعي في انجلترا ، فالشاعر «شيلي » من اعلام المدرسة الرومانسية الانجليزية ، وتقديم نص ادبي له ينبغي ان يكون مصحوبا بمعرفة الظروف الكاملة التي ظهر فيها هذا العمل والخصائص الفنية الاساسية له ..

هذا العمل الذي قدمه لويس عوض ، يوضح الطريقة الصحيحة للاستفادة من المنهج الجامعي في الدراسة ، انه يتيح فرصة للمنهج الجامعي ان يقدم للناس خارج الجامعة افكارا مدروسة ونصوصا ادبية مفهومة على وجهها الصحيح ، فليست وظيفة العالم الجامعي هي التدريس لطلبته وحسب انما هي ابعد من ذلك واوسع ، انها استخدام المنهج الجامعي في افادة الثقافة العامة وتقديمها بصورة سليمة الى الناس ..

وفي ميدان النقد الادبي استطاع لويس ان يتوصل بوعي الى فكرة « الواقعية في الادب » .. لقد حاول ان تكون الافكار الادبية منبثقة عن نظرية ، بدلا من ان تكون افكارا عامة منفصلة عن بعضها ، على ان تكون هذه النظرية ذات وجه ادبي ووجه انساني.. فليس المهم فقط ان يكون الادب جميلا ومثيرا ، بل لا بد ايضا ان يؤدي « وظيفة انسانية» واستطاع لويس عوض ان يقدم اول تقديم علمي واسع الافق لفكرة «الواقعية في الادب » وذلك في كتابه « في الادب الانجليزي الحديث » ... فقد درس عددا من الفنانين الانجليز المحدثين ولكن منهجه في الدراسة كان واحدا ، وفهمه للادب كان محددا .. كان يصدر عن نظرية متكاملة ... على ان هذه النظرية لم تضع على عينيه ستارا كثيفا يزيف الواقع او يرى فيها جزءا دون جزء .. كلا بل كان يحاول ان يعرض كل اجزاء الصورة ثم يحكم عليها حكما يتيح للقارىء ان يدلي براي .

فلويس من ابرز النقاد اصحاب النظريات الادبية .. حقا .. وقد يقال عن هذه النظرية الادبية العامة انها ليست مبتكرة ، ولكنها ليست نظرية شائعة في الغرب .. هذا صحيح فعلا .. ولكن لويس عوض اجاد الفهم والتمثل ، ثم اقتنع بهذه النظرية ونقلها الى افضل صورة واروعها واعتقد ان كتاب « في الادب الانجليزي الحديث » هو واحد من المراجع العربية القليلة التي تشرح الفكرة الاجتماعية في الادب شرحا دقيقا سليما مقنعا لا تطرف فيه ، ولا عنف ولا انكار للروح العلمية اللازمة في عرض هذه القضايا ، بالاضافة الى توفر رصيد ثقافي كبير يقدم للكاتب مادته دون تعسف او تقصير .

- ٣ -

وقضية اخرى كان لويس عوض رائدا سباقا فيها فهو الى جانب وعيه الجامعي ومحاولته العلمية للصدور في افكاره الادبية عن « نظرية متكاملة » فانه قد احس بضرورة احداث ثورة في ميدان الشعر ، وساهم في هذه الثورة مساهمة غريبة من نوعها بحق .

ففي سنة ١٩٤٧ اصدر ديوانا شعريا بعنوان « بلوتولاند » كتب على

غلافه « من شعر الخاصة »» ولم يسمح ببيعه في المكتبات ، وانما كان يوزعه على اصدقائه ومعارفه من المهتمين بالادب والفن ، وكتب مقدمة لديوانه هذا عنوانها « حطموا عمود الشعر » وكانت مقدمة عنيفة حارة ثائرة تنادي بصورة جديدة للشعر . يقول في هذه المقدمة :

« اني اعلم انجيلنايحس الشعر اكثر مما احسه جيل شوقي ، فجيلنا معذب وجيلنا ثائر ، وجيلنا عاش في الارض الخراب التي انجلت عنها الحربان ، ورقص حول شجرة الصبار ، وجيلنا لم يولد بباب احد ، وجيلنا يكسب قوته بعرق جبينه ، وجيلنا يكافح الاستغلال والاستبداد وجيلنا لا يشتري القيان من سوق النخاسة كما كانوا يفعلون ، وجيلنا عزيز لا يعفر الجباه لاحد وجيلنا سخي يتسع قلبه للانسانية جمعاء .

ومرت سنوات واذا بدعوة الشعر الجديد تثمر ثمارا ناضجة ، ولا اقول ان ذلك كان بفضل لويس عوض ، ولكن الذي لا شك فيه ان لويس كان واحدا من الذين وصفوا البذور الاولى لهذه الحركة .

وفي مقدمة الديوان يكرر لويس عوض انه ليس بشاعر ، ولكنه ثائر فهو يتحدث عن نفسه قائلا انه « لو تركله الامر لاستبعد كل ما في الديوان من قصائد فهويسيء الظن بكل ما يكتب وله في ذلك عذره فاكثر شعره رديء » هذا ما يقوله عن نفسه .. فما هو اذن السبب الذي دعاه الى نشر هذا الديوان؟ هناك سببان لا سبب واحد .

اما السبب الاول فهو ضيقه بالركود والجمود فهو يقول في المقدمة « آه من الاسس . قتلني الركود » .. انه يتلفت حوله فيجد العقل العربي جامدا يتلقى الافكار القديمة ويقلدها ، وهو كذلك يجد الوجدان العربي يعيش على الشعر القديم ايضا ، فاذا كان هناك تجديد في الشعر فهو تجديد محدود ... التجديد القديم الذي اضافه الاندلسيون لم يغير من جوهر الشعر العربي ، انه تنويع في « القافية » بدلا من اخضاع القصيدة لقافيةواحدة ، او لنغم رتيب واحد .. وتجديد في الصياغة ، فالاندلسيون قد عرفوا جمال الطبيعة ورقة الحياة .. فرأوا البساتين الخضراء وعاشوا على ضفاف الانهار السائلة العذبة .. اما قدماء العرب فقد عاشوا حياة بدوية جافة خالية من جمال الطبيعة خالية من تنوعها.. وهناك محاولة اخرى للتجديد تلك التي تبعت موت « احمد شوقي » وجيله ... فقد ظهر جيل جديد مثل شعراء المهجر ومثل علي محمود طه وابراهيم ناجي وابو القاسم الشابي ... ولكن هذا التجديد ايضا لم يبلغ مدى بعيدا ، ولم يحدث ثورة كبيرة هائلة في الشعر العربي.

الجمود اذن هو السببالاول الذي جعل لويس عوض يفكر في اصدار ديوانه . انه يريد ان يرى في الحياة من حوله حركة وتجديدا ، بدلا من ذلك الموقف الصلب الذي يقتل كل مظاهر الحياة في الاشياء فتصبح كانها اشياء محنطة وليست مظاهر حياة حقيقية .

اما السبب الثاني فيقول لويس عوض في المقدمة : « لا امل للويس عوض الا ان يقرأ هذاالديوان شاعر ناشيء مطبوع فيتاثر بما فيه من تجارب ويجدد لنا الوان الحياة والحانها ، ويسلخ جلود الشيوخ.»

فما هي التجارب التي يقدمها هذا الديوان الطريف الغريب ؟ سوف نشير الى اهم هذه التجارب دون ان نحصيها ، فكل قصيدة في الديوان هي بلا شك تجربة تحتاجالى مناقشة ودراسة .

اما التجربة الاولى فهي محاولة لويس عوض لفت النظر الى الشعر الشعبي والى قيمته الفنية ، كان يريد الاعتراف باللهجة المصرية وكتابة الشعر بها ، فمصر منذ ان دخلها العرب لم تقدم الى العربية شاعرا كبيرا على الاطلاق وذلك لان مؤرخي الادب لم ينظروا الى الادب المكتوب بالعربية الفصيحة ولم يهتموا بالادب الشعبي او يشجعوه .. ويرى لويس عوض انه « لا يوجد ما يمنع من قيام الادبين جنبا الى جنب ، اللهم الا اذا شككنا في جدارة اللغة العربية والادب العربي وقدرتهما على الحياة » .

ولقد حققت الايام فكرة لويس عوض ، فظهر ادب شعبي مكتوب له قيمته ، ففي ميدان الشعر اصدر صلاح جاهين ديوانا من الشعر الشعبي هو « كلمة سلام » ..وهذا هو الديوان الوحيد الذي كتب باللهجة الشعبية في الفترة الاخيرة واستطاعان يكسب احترامجمهور القراءوالنقاد. والغريب ان هذا الديوان لم يجد جمهوره الا بين المثقفين الذين يقرأون الشعر الفصيح ، وكان المفروض ان يكسب جمهورا اوسع ، من بين الذين لا يجيدون قراءة العربية الفصيحة .. فلم يحدث هذا .. والسبب في نظري ان الشعر ليس لغة وصياغة فحسب ، بل هو الى جانب ذلك فكر ومشاعر .. والافكاروالتجارب الشعورية التي يعبر عنها صلاح جاهين في ديوانه لا يقل عمقا عن الافكار التي يعبر عنها الشاعر الذي يكتب باللغة الفصحى .. ومن هنا كان جمهور الشاعر الشعبي المخلص هو نفسه جمهور الشاعر الذي يكتب باللغة الفصيحة ..

ومن الاشياء التي حققها الادب الشعبي ايضا دخوله ضمن البناء الفني للون من القصص القصيرة والطويلة على السواء.. فقصص يوسف ادريس تعتمد في معظمها على الحوار الشعبي ، ولكن بدقة وقدرة على الاختيار كذلك لا بد من ان نشير الى عمل سابق في ادبنا العربي هو : « عودة الروح » . لقد كان الحوار فيها ايضا باللهجة العامية ، ولكنه كان حوار ا جيدا ممتعا .. ولقد قال زميل لبناني مثقف ذات يوم :ان من اكبر عناصر المتعه في عودة الروح ان هذا الحوار مكتوب بالعامية ... ورأى هذا الزميل اللبناني هام ، فهو من ناحية يدل على امكان فهم اللهجة العامية بين ابناء الوطن العربي على اختلاف اقطارهم .. وزميلي هذا من المؤمنين المتحمسين لفكرة القومية العربية .. وهذا معنى اخر .. فالاحساس الصادق بالفكرة العربية ، لا يضيق بتفتح الزهور المتنوعة على النطاق العربي على ان نراعي عدم المبالغة في استخدام اللهجات المحلية عندما تملى ذلك ضرورة فنية حاسمة

ولنأخذ مثلا لا من الشعر الشعبي الذي قدمه لويس عوض في ديوانه. انه في قصيدة شعبية تحت عنوان « لعنة » يقول لويس :

خمسين سما فوق راسي
ما فيهاش اله يسمع لي
ادينـي اي كنيسة
يا رب اصفح عني
ادوسها تحت نعلي
اللعنة راح ترجع لي

هذا مثال من الشعر الشعبي الذي قدمه .. وهو يعبر فيه عن فكرة عميقة هي « القلق » الذي يشعر به الانسان في بعض لحظات الحياة فيسخط ويبلغ سخطه ابعد مداه ثم يعود مرة اخرى الى الهدوء .. الى حالة يطلب فيها الغفران .

والديوان يشتمل على عدد من التجارب الاخرى في ميدان الشعر

الشعبي والتجربة الهامة الثانية التي قدمها لويس عوض في الديوان هي تجربة « الشعر القصصي » .. والشعر القصصي شيء غير الملاحم .. وكما ان الشعر العربي قد خلا من الملاحم فقد خلا ايضا من الشعر القصصي .. ومحاولات عمر بن ابي ربيعة في بعض قصائده ، والعقاد في قصيدته « ترجمة شيطان » ، وشوقي في بعض قصائده ايضا .. كل هذه المحاولات لا يمكن انتخرج عن نطاق من الشعر الغنائي الى الشعر القصصي .. فالشعرالقصصيلا بد ان يعتمد على نغمشعري هادىء، تصبح الموسيقى فيه غير واضحة .. انها موسيقى تنبعث من الداخل حتى لا تشغل القارىء عن القصة اذا ما كانت موسيقى خارجية ظاهرة .. والموسيقى التي اعتمد عليها الشعراء الذين اشرنا اليهم موسيقى خارجية .. ومثال ذلك ما قاله العقاد في قصته الشعرية :

صاغة الرحمن ذو الفضل العميم
غسق الظلمة في قاع سقر
ورمى الارض به رمى الرجيم
عبرة ، فاسمع اعاجيب العبر

هنا موسيقى شعرية واضحة عالية اما الموسيقى المناسبة للشعر القصصي فهو موسيقى « بحر الايامب » عند الاوروبيين وهو ما يقابل عندنا « بحر الرجز » .. فالنغم في بحر الرجز هادىء يلائم الطابع القصصي والقصة الشعرية التي كتبها لويس عوض هي التي جعل منها عنوانا للديوان وهي قصة « بلوتولاند » او « ارض الذهب » .. ويقول في بداية هذه القصيدة الطويلة :

ثلاثة رموا عصا التيار
ذات اصيل في حمى الاهرام
يا طيبة من كنف للساري
ما زال موئلا على الايام

واستمرت القصيدة تحكي قصة هؤلاء وصراعهم في العالم .. واحد منهم شاعر حالم ، والثاني طموح يريد ان يصل الى « المعالي» وثالثهم يريد « ان يهدى الناس».. وتنتهي القصة واذا بهؤلاء يتحطمون لانهم انحرفوا عن طريقهم عندما وجدوا ان الناس لا يحبون الاشياء المثالية ولا يفكرون الا في الواقع وفي الاشياء الغريبة ... لقد اصطدموا بعالم مادي لا يقدس الا الماديات

وقد استطاعت حركة الشعر الجديد ان تقدم نماذج طيبة من الشعر القصصي وذلك بعد ظهور لويس بسنوات ، ونحب ان نذكر على سبيل المثال الشاعر بدر شاكر السياب الذي كتب اكثر من قصة شعرية ناجحة مثل « حفار القبور » و « المومس العمياء » .

اما التجربة الثالثة الهامة التي قدمها لويس عوض في ديوانه فهي دعوته الى الشعر المرسل حيث يقول : « ان محنة الشعر العربي على وجه التخصيص هي نظام القافية الواحدة » كما انااكثر شعرائنا « لا يعرفون متى يحسن الصمت ويحسبون ان الشاعر لا يكون شاعرا الا اذا اطال وامل واوفى على مائة بيت على غرار الاولين ولكن هذا تحد للوحي وتزويـر للالهام وتقول على ربات القريض »

لقد دعا لويس عوض الى التخلص من القافية ودعا الى « وحدة القصيدة بدلا من وحدة البيت » وكانت هذه الدعوة هي اهم ما اشار اليه الديوان ، واهم حدث فني وقع في عالم الشعر العربي بعد صدورهذا الديوان ، تحت تأثير عوامل متعددة من بينها هذا الديوان نفسه .. لقد بدات حركة الشعر الجديد تشيع وتنتشر .. وكان من اهم ما فعلته ان قضت على وحدة القافية وقضت على وحدة البيت في سبيل وحدة اهم هي « وحدة القصيدة » والنماذج الجيدة من الشعر الجديد فيها ماخ الشعر القديم من عناصر الجمال والروعة ولكنها تزيد عليه بعناصر جديدة لم تكن في الشعر القديم ولم يعرفها في عصر من عصوره .. لقد ظهرت القصة الشعرية في ميدانالشعر الجديد ، وهي في معظمها قصص رمزية لا تضن باسرارها على العقل المتأمل ، والوجدان المستنير .. انها قصص تحكى لنا تجربة الحياة ، وصراع الانسان معها في صورة فنية اوسع وارحب ، وفي الامكان ان تظهر المسرحية الشعرية عندنا ، وانا اميل الى الراي القائل بان زمن المسرح الشعري قد انتهى ولكن انتهاء هذا العصر يعني بالتحديد ان الانتاج الفني الشائع لن يكون هو المسرح الشعري كما كان الامر ايام شكسبير وموليير وراسين وكورني .. ولكنه لا يعني ان المسرح الشعري قد مات تماما .. انه موجود ، وسيظل موجودا ، وقد ظهر في المانيا فنان عظيم الشان « برتولدبريخت » الذي مات منذ سنوات قليلة .. وقد كتب هذا الفنان مسرحا شعريا لا يزال يهز الوجدان الانساني كله بصورة واضحة وخاصة في اوروبا وبالنسبة للادب العربي فان ذلك الادب في حاجة الى المسرح الشعري بمعناه الجديد العميق ، وهذا المسرح لم يولد بعد عندنا ، والشعر الجديد هو وحده الشكل الفني الذي يمكن ان يسمح بميلاد المسرح الشعري بصورة ناضجة مكتملة .

يقول لويس عوض عن نفسه .. « هذا مجمل ما فعله لويس عوض وما لم يفعله وهو لم يقصد بنشر هذا الديوان ان يفتح فتحا بل ان يخلق دوامة صغيرة من دوامات الفكر وسط هذا الاسن الادبي »

وقد كان ديوانه ممتعا في كل سطر منه ، ولم تكن المتعة مصدرها انه شعر جيد مكتمل فنيا ، ولكن مصدرها الحقيقي هو ان الديوان،محاولة للابتكار والتجديد .. محاولة تشير الى عالم جديد في حياتنا الفنية وقد كان هذا الديوان احد العوامل التي تأثر بها شعراء الجيل الجديد يحاولون ان يفتحوا للشعر العربي افاقا اخرى غير تلك التي عرفها في ماضيه .

هذه خطوط عامة لشخصية لويس عوض في حياتنا الثقافية ... انه واحد من ابرز اعلام الجيل الثاني في ادبنا الحديث ، فغلب عليه طبيعة « المعلم » المتخصص العميق الفكر والثقافة ، وقد خلق ليكون جامعيا لا ليعلم الطلاب وحسب ، ولكن ليعيش في الجو الجامعي ويقدم الى الحياة الثقافية انتاجه الفكري من الجامعة ، فالبيئة الجامعية هي انسب بيئة لازدهار نشاط هذا المفكر الناضج .

لقد سافر الى « دمشق » ليعمل استاذا بالجامعة هناك .. ولعل في ذلك تجربة حكيمة بالنسبة لهذا الرجل .. فالشيء الذي كنت احس باستمرار انه في حاجة الى تعديل ومراجعة في افكار لويس عوض هو رايه في الفكرة القومية ، اذ ان هذه الفكرة عنده ذات طابع محلي الى حدما وسوف تتيح تجربة دمشق لهذا المفكر فرصة عميقة طيبة حتى يراجع فكرته ، وانا واثق من انه سوف يضيف الى الفكرة ويعدل منها بما يتيح له ان يقدم الى وطنه مزيدا من التجارب الثقافية الهامة .

على ان وزارة الثقافة قد دعمها انضمام مفكر عربي اخر اليها ، هذا

النشاط الثقافي في الوطن العربي

المفكر هو الاستاذ سامي الدروبي والى العدد القادم حيث نتحدث عن سامي الدروبي في هذا المكان .

واهتمام « الاداب » بهذه الشخصيات انما يرجع الى الدور الكبير الذي تقوم به في حياتنا الثقافية ... ان في يد امثال هؤلاء المفكرين مصير جزء كبير من مستقبلنا الثقافي .

الاقليم الشمالي

لمراسل الآداب محي الدين صبحي

معنى (اتحاد طلاب) في جامعة دمشق

تقوم الجامعات في كل بلاد العالم ، بدور طليعي تقدمي . فهي تستشرف المستقبل وتعمل على تركيزه وبلورته وتحديد اهدافه وتوجيهها نحو الواقع العملي لتتفاعل معه وتؤثر فيه . وكان الدور الطليعي الذي قامت به جامعتنا ، التبشير بسياسة استقلالية في عهد الانتداب ، وسياسة أصلاحية في عهد الاستقلال .. وبدين العهد الحالي ، الدكتاتوريات الانقلابية « الزعيم ، الشيشكلي ، سلو .. الخ » ، كما كان لطلاب الجامعة فضل كبير في مقاومة عهد الرجعية الذي فرضه برلمان ١٩٥٤ . ويعود اغلب وعي الشارع الى نشاط طلاب الجامعة التي كانت بمثابة برلمان آخر لا تستطيع أية وزارة ان تظل في الحكم ما لم تضمنه الى جانبها .

واليوم ، وقد انحلت أزمة الحكم بوجود زعيم ملهم يثق الشعب باخلاصه، وحكومة يتشكل اعضاؤها من اختصاصيين وصلوا الى الوزارة بكفاءاتهم العمالية لا عن طريق الخطابات والدجل السياسي . اليوم اذن يجب ان تتغير طبيعة العمل الجامعي ، وتتجه الى اهداف ايجابية ، تساهم في بناء المجتمع وتحريره من خرافات الماضي وعقد الجنس وبقايا التكايا . وطبيعة هذا التغير تتضمن اولا صون القدرات فلا تهدر في الشوارع والمقاهي ، وتتضمن ثانيا تدريب الافراد على التعاون بخلق جو مشجع على العمل الاجتماعي ، وبذلك يخرج الافراد عن عزلتهم الموروثة ، ويستقبلون العمل بنفوس متفتحة على الحياة الايجابية .

وقد بدىء فعلا بتنظيم الحياة الرياضية والاجتماعية والفكرية بتنظيم اتحاد طلاب الجامعات بالجمهورية العربية المتحدة ، وجاء في المادة الثالثة من قرار رئيس الجمهورية ان اغراض الاتحادات هي :

أ ـ تنمية الروح الجامعية السليمة بين الطلاب وتوثيق العلاقات الطيبة بينهم وبين اساتذتهم .

ب ـ تنمية الوعي القومي العربي على اساس من المبادىء الاشتراكية التعاونية الديمقراطية .

جـ ـ العمل على رفع مستوى الحياة الرياضية والاجتماعية والعسكرية والفكرية بين الطلاب .

د ـ تنظيم الاستفادة من نشاط الطلاب واوقات فراغهم بما يعود على الوطن وعليهم بالنفع .

هـ ـ منح الطلاب الحق في حرية التعبير عن آرائهم واثبات ذاتيتهم بالبت في مقدراتهم ضمن نطاق واختصاصات الاتحاد .

و ـ توفير اسباب الراحة ووسائل المعيشة لاعضاء الاتحاد من الطلاب داخل الجامعة وخارجها في حدود امكانياته .

وقد نص القرار على تشكيل لجان رياضية وثقافية واجتماعية وفنية وعسكرية ، ينتخب الطلاب اعضاءها من بينهم ، وبذلك يمارس الطلاب حرياتهم ويتعودون على الديمقراطية وتحمل المسؤوليات فتتقارب مسافة الخلف بين الحياة الجامعية والواقع العملي ، وتكون ممارسة الطلاب أعباءهم جزءا هاما من التربية الصحيحة الحرة .

ولا بد ان اشير الى ان مسابقات المجلس الاعلى لرعاية الفنون ـ وبخاصة المسابقات الفكرية ـ لا تشكل حافزا مباشرا لاثارة النشاط بين الشبان ، لكونها بعيدة عنهم بعض الشيء ، وحبذا لو تقام باسم كل جامعة مسابقات فنية وأدبية لا على كؤوس واوسمة وجوائز « تذكارية » ! بل على مكافآت مالية وتشجيع حقيقي يقوم بتعهد النشاط الجامعي باصدار مجلة يكون الاشتراك فيها جبريا لكل طلاب الجامعة ، ومن ريع المجلة يمكن نشر اعمال الشبيبة الجامعيين .

ويجب افساح المجال لبقية نواحي النشاط الاجتماعي في مختلف صوره ، من حيث القيام برحلات وحفلات ومشروعات تتعدى نطاق الجامعة وتمتد الى المدن والارياف، كتعليم الاميين والتدريب الصحي والعمل في المراكز الثقافية ، وبذلك تصبح الجامعة منطلقا طليعيا لحياة تقدمية في جمهوريتنا الفتية ، ولا تبقى ، كما هي الان ، بؤرة متجمدة لشبان بورجوازيين متبطلين واساتذة لا يعرفون سوى القاء محاضراتهم والانصراف الى أعمالهم الخاصة ... كما ان مثل هذه المشروعات كفيلة بتطوير رسالة الجامعة من المشاركة في العمل السياسي الى المشاركة في العمل الاجتماعي .

المغرب العربي

لمراسل « الاداب » في المغرب

حول تعريب التعليم

عندما احتلت فرنسا هذا القسم من الوطن العربي سنة ١٩١٣ وجدت المدارس والكتاتيب القرآنية منتشرة في جميع انحاء البلاد من مدن وقرى ، تؤدي رسالتها التعليمية على أكمل وجه ، بلسان عربي مبين ، وبروح اسلامية حية . يتلقى الطلبة فيها زيادة على مبادىء الدين ، فنون البلاغة والاصول والمنطق وتاريخ الاسلام الخ .. ويخرج الى ميدان

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الحياة مشبعا بروح وطنية بناءة ، وبرغبة اكيدة في العمل لما فيه خير هذه البلاد العزيزة .

وجاء المستعمر ، فعرف ان هذه المدارس والكتاتيب هي مصدر قوة هذا البلد ، حيث يتخرج منها الدعاة للاصلاح ، وابطال الوطنية فكان ان وجه ضربته القاسية نحو هذه المدارس فقضى عليها في القرى اولا ، ثم في المدن بعد ذلك . وعندما طالب المغاربة بفتح المدارس ، قام المستعمر بفتح مدارس فرنسية في ادارتها ، فرنسية في تعليمها ، فرنسية في روحها . تلقن اول ما تلقن : تاريخ فرنسا ، وجغرافية فرنسا ، وطبعا لغة فرنسا . اما حصة اللغة العربية فكانت في بعض المدن تخصص نصف ساعة للقرآن الكريم ، بينما جعلت في مدن اخرى وفي بعض البوادي تحاول ان تقيم اللهجات المحلية عوض اللغة العربية ، بدعوى ان السكان يرغبون في ذلك ، وانهم يكرهون اللغة العربية . ومن هنا فهم يكرهون القرآن ! بل يكرهون الدين الاسلامي الذي فرض عليهم !! وبمثل هذه الدعايات الاثيمة كانت تمهد لحملة تنصير القبائل البربرية المغربية . تلك الحملة المشهورة في تاريخ الاستعمار الفرنسي بالمغرب ، والتي قام المغرب ضدها قومة رجل واحد مؤيدا من العالم العربي والاسلامي ، والتي جندت لها فرنسا آلاف الرهبان وبنت لهم عشرات الكنائس في القرى والمداشر المغربية .

وفشلت فرنسا في محاولة التنصير ، ولكنها استمرت في سياسة التجهيل ، تجهيل ابناء الشعب ، بلغتهم ودينهم . وقامت الحركات الوطنية تطالب باعطاء اللغة العربية حصتها كاملة في المدارس الرسمية ، ولكن المستعمر أصر على تغافله . فما كان من الطبقة الواعية في الامة الا ان كثفت جهودها واخذت تنشىء المدارس العربية الحرة ، وتنفق عليها مما تجود به اريحية المخلصين من ابناء الشعب .

ومرة اخرى احس المستعمر بفشله . فقام ليزيد في حصة اللغة العربية بالمدارس التابعة له ، ولكن اللغة الفرنسية مع ذلك بقيت تمتلك حصة الاسد ، زيادة على ان ما كان يدرس بالعربية لم يكن ذا اهمية ، بالنسبة للمواد المدروسة باللغة الفرنسية . فالجغرافية ، والتاريخ ، والحساب ، والهندسة ، والرسم الخ ... هذه كلها مواد لم يكن ذهن المستعمر يستسيغ ان تدرس باللغة العربية .

واستقلت البلاد ، وكان من حسن حظها ان ولي امر وزارة التهذيب الوطني رجل عرف بوطنيته الصادقة وغيرته على اللغة العربية ، هذا الرجل هو الاستاذ محمد الفاسي الذي اخذ يعد العدة لتعريب التعليم ، والاستغناء عن هذا الجيش العرمرم من المعلمين والمعلمات ذوي الجنسية الفرنسية . وبالفعل وضع تصميما لخمس سنوات وشرع في تعريب السنة الاولى التحضيرية ، واخذت بعض المواد في الاقسام الاخرى تدرس بالعربية . ولكن ضجة مفتعلة قامت ضده ، واخذت تعمل على عرقلة مشاريعه الاصلاحية وتدعي ان مستوى التعليم قد انحط ، وان التعليم يسير الى الوراء ، وانه اصبح رجعيا ! (*)

وفارق الاستاذ محمد الفاسي وزارة التهذيب الوطني ليشغل مهام اخرى ، فماذا فعل الذين خلفوه ، وكانوا ينتقدون مشاريعه ؟ لقد وضعوا برنامجا جديدا أهم نقطه :

١ ــ عدم تسجيل تلاميذ جدد بدعوى عدم وجود اقسام جديدة .

٢ ــ جعل مدة الدراسة في الطور الابتدائي ست سنوات بدل خمس .

٣ ــ ضياع سنة لكل من تلاميذ السنوات الخامسة والرابعة والثالثة .

٤ ــ العودة الى ما يقرب من برنامج ايام الاحتلال في فرنسة التعليم ، بدعوى ان معلمي اللغة العربية عندنا لا يستطيعون تدريس بعض المواد باللغة العربية .

وهكذا اخذنا نشاهد من جديد سيلا من المعلمين والمعلمات يفدون على المغرب . وبعضهم في مستوى أقل ما يقال فيه انه دون المستوى الذي يحتاج اليه المغرب ! اما عن المعلمات الفرنسيات ، فيكفي ان اذكر ان جريدة مغربية كتبت منذ عدة شهور مقالا تحت عنوان : « أمعلمات أم بائعات هوى ! » وذلك في حديثها عن بعض المعلمات الفرنسيات !

وطبعا لم يرض الشعب عن هذا البرنامج . فالشعب الذي حارب الاستعمار من اجل برنامجه في التجهيل والتفقير ، لم يرض أن يحرم ابناؤه من نور التعليم في عهد الاستقلال . ولذر الرماد في العيون قالت الحكومة انها ستقبل زهاء ستين الفا ، ولكن على شرط ان يخصص القسط الاوفى من هذا القدر لسكان البوادي !

والان وقد تألفت حكومة جديدة ، وشغل منصب وزير التهذيب الوطني رجل مقتدر هو الاستاذ عبد الكريم ابن جلون ، فما هي البرامج الجديدة ؟ ان السنة الدراسية ٥٨ ــ ٥٩ ستمر بويلاتها . واننا ننتظر بفارغ الصبر العمل الذي ستقوم به الحكومة الجديدة . فهل ستندفع في التعريب ، وذلك ما يطلبه الشعب ، أم ستستمر في تطبيق هذا البرنامج على ويلاته ؟

لقد سمعنا الافواه تردد من جديد فكرة تعريب التعليم . ونحن نباركها من كل افئدتنا ، وبكل اخلاص ، ونهمس في اذن وزارتنا الموقرة : لماذا لا تتناسين باريز وتولين وجهك نحو الشرق العربي ، حيث الاساتذة الاكفاء الذين يستطيعون تدريس كل المواد بلغة القرآن .

أنبقى دائما نستجدي فرنسا ؟ أم اننا ... رحم الله امير الشعراء شوقي في قصة « الحمار والجمل » .

ادريس ابن جلون

(*) كما في المغرب ، كذلك في لبنان ! « الاداب »